استراتيجيات العلاج بالأشغال الفنية التشكيلية وعلاقتها بعلم العلاج الطبيعي الأكلينيكي
An Art therapy Strategy in Association with Clinical Physical Therapy

فتون فؤاد عبدالقادر فيومي
أستاذ مساعد الأشغال الفنية قسم الرسم والفنون - كلية التصاميم والفنون جامعة الملك عبدالعزيز - جدة المملكة العربية السعودية

الملخص Abstract

بادرت المملكة بأنشاء وحدات ومراكز للعلاج الطبيعي للرعاية الصحية والتاهيل الشامل للمسنين ولحالات الكسور، والاعاقات البدنية، ومرضى الجهاز العصبي والحسي، ومرضى الجهاز العضلي الهيكلي ... الخ ، إلا أنها مازالت تفتقر للعلاج من خلال الفن بصفة عامة والأشغال الفنية بشكل خاص ، فهي مازالت تحتاج الى طرح إستراتيجية تأهيليه علاجيه بالفن التشكيلي من خلال الأشغال الفنية ، حتى يصبح للأشغال الفنية دور فعال في مراكز العلاج الطبيعي مقارنة بمراكز العلاج بالدول المتقدمة (المانيا) في ضوء ما سبق يمكن تلخيص مشكلة البحث في التساؤل التالي :كيف يمكن الأستفادة من خبرات الدول المتقدمة(المانيا) في مجال العلاج الطبيعي الأكلينيكي بالأشغال الفنية في وضع إستراتيجية للتأهيل والعلاج عن طريق الأشغال الفنية .

يهدف البحث الى الأستفادة من خبرات المتقدمة لعدد من الدول مع تركيز أكبر على المانيا في مجال العلاج بالأشغال الفنية ومدى امكانية الأستفادة من وضع خطه علاجية لتشخيص المهارات والقدرات الفنية لدى عينة من الطالبات لديهم اعاقات يدوية، وذلك لتنميتهم عضلياً واجتماعياً ونفسياً بممارسة الأشغال الفنية، وذلك بهدف تطبيق هذة الاستراتيجية من خلال المستشفيات او مراكز العلاج الطبيعي .

تكمن اهمية الدراسة الحالية فى ألقاء الضوء على الفوائد الإكلينكة من خلال العلاج الطبيعي بالأشغال الفنية والتي تنمي قدرات المرضى من الناحية العضلية والحسية والعصبية والجسدية كالمرضى المصابين بالشلل اوالكسور أوالجلطات الدماغية أوأمراض الدم والأورام السرطانية والحسية والانفعالية والاجتماعية. كما أنها تستهدف كذلك تعريف المجتمع بالبرامج التاهيلية للعلاج الطبيعي بالفن من خلال الاشغال الفنية .

تفترض الدراسة مبدئيا أمكانية وضع استراتيجية تاهيلية للعلاج الطبيعي الإكلينكي من خلال الاشغال الفنية بالاضافة الى دورة في تنمية الناحية العضلية والجسدية والحسية والانفعالية والاجتماعية من خلال مجالات تشكيلية عديدة لها فوائدها الاكلينيكية مثل أشغال الجلود وأشغال الزجاج وأشغال الخشب، والموزايك، والمعادن، والخامات البيئية والمستهلكة ، وأشغال الورق ....الخ

تقوم الدراسة على المنهج الوصفى التحليلى لحالات فردية وأعتمادها على الأشغال الفنية كمادة مفتوحة بخاماتها لتطبيق هذا البرنامج وأستراتيجيته. وتكونت عينة البحث من ست من الطالبات قسم الرسم والفنون، كلية التصاميم والفنون جامعة الملك عبدالعزيز. وخلصت الدراسة إلى وضع الخطوط الأولية لاستراتيجية تأهيلية علاجية من خلال الأشغال الفنية لطالبات يعانين من مشاكل صحية جسدية وأعاقات يدوية، وتوصلت الى إكسابهم مهارات من الناحية العضلية والجسدية والحسية والنفسية حيث نمى هذا البرنامج مهارات الطالبات بنواحي كثيرة . وأوصت الباحثه بضرورة أنشاء مراكز تأهيلية مختصة كأقسام بداخل المستشفيات كما هو موجود في الدول الأوربية (ألمانيا) لتأهيل علاج الحالات المرضية الجسدية والعضلية والعظمية عن طريق الأشغال الفنية للإستفادة منها، كما أكدت على أهمية التخطيط للعلاج بالفن التشكيلي من خلال الأشغال الفنية لعلاج الحالات المرضية الجسدية والأعلاقات المختلفة .

كلمات مرشدة Keywords:

العلاج بالفن Art therapy - العلاج الطبيعي الأكلينيكي Clinical Physical Therapy - استراتيجية علاجية therapy strategy

خلفية البحث Background:

إن تاريخ العلاج بالفن التشكيلي يرتبط أرتباطاً وثيقاً بتاريخ مزاولة الفن وبداياته الأولى وتزداد الرؤية وضوحاً عندما ينظر الدارس إلى ماهية الفن ودوره في حياة البشرمن الناحية النفسية والجسدية العضوية، ويرى معظم المؤرخون للفن بأن الإنسان قد أعتمد على ممارساته الفنية منذ بداية حياته البشرية، حيث مارس الفنان البدائي التشكيل الفني بأنواعه المختلفة لأسباب نفعية وطرق للتواصل والتعبير عن الأفكار والمعتقدات والمشاعر الداخلية لديه. (الرصيص،١٩٨٨م،ص ١٧)

ويظهر ذلك جلياً من خلال التمعن في تاريخ فنون ما قبل التاريخ والعصور الحجرية التي رصدها الفنان الأول على جدران الكهوف وتكويناته الحجرية على سفاح الجبال في الكثير من المناطق مثل الكتابات الثمودية في المملكة العربية السعودية، والآثار الفرعونية في مصر وبعض مناطق من أفريقيا وأسبانيا وغيرها من المناطق التي تشهد اللمسات الأولى للتعبير الفني، ويزداد الأمر وضوحاً عندما نتمعن في الفنون الأفريقية القديمة والآثار الفرعونية بمصر وفنون الهنود الحمر اللذان يمثلان شواهد حية للتعبير الفني البدائي، ذلك الفن الذي امتلأت مجالاته بالتعبير الصادق المفطور على صدق التعبير الداخلي للفنان البدائي عن حياته بأكملها بما فيها التعبير عن مخاوفه وتوسلاته وحتى طرق استشفائه من الأمراض المختلفة. (Freedberg, 1984, p. 161)

وعندما ننظر بعين المتمعن في الدور الذي يقوم به الفن التشكيلي الفطري في أفريقيا - على سبيل المثال - نجده يقدم أمثلة غاية في الأهمية لما تبوأه الفن في تلك الثقافة؛ حيث نجده يقوم مقام الطب بل كان هو الطب في حد ذاته عندما كان يقوم الفنان (المداوي) بتدليكات بسيطة على مواقع الكسور أوالالآم بقصد الاستشفاء أوبإنتاج مجسماً فنياً يضع بداخله أدوية شعبية لها أثر دوائي على المريض الذي يقتنيه .Koloss, 1990, pp (33,54,62.) .

وهناك أمثلة مشابهة في معظم الثقافات والحضارات الأخرى حول العالم تحمل نفس الفلسفة والاتجاه العلاجي ،ومن ضمنها الكثير في البلدان العربية ومنها المملكة العربية السعودية والتي

تعاملت مع هذه النوعية من العلاج (الطب الشعبي او البدائي) قبل ظهور الطب الحديث في أرجائها المختلفة ولايزال بعض المعالجين يمارسون مهنتهم الى يومنا هذا ،كما لا تزال بعض الحضارات تستعمل نفس الوسائل العلاجية كالتمارين والتدليك المبسط لبعض الاعضاء المصابة بالجسم، حتى في عصرنا الحاضر مع علمها بالطب الحديث وفاعليته ،وقد جاء الطب الحديث والفلسفات الحديثة بأنواعها لتحذر وتمنع مثل تلك المزاولات الدوائية أوالعلاجية دافعة بذلك النوع من الطب إلى الأحراش والمناطق النائية ليحل محلها الطب الحديث.

أما بالنسبة للفن المصري القديم فقد كان في معظم أطروحاته يبحث في الحياة بعد الموت كما صور الفنان المصري القديم على الجدران التعبير عن صراعات الحياة اليومية، ومع ذلك فقد كان هناك اهتماماً واضحاً بالموسيقي بوصفها إحدى الفنون التي كان لها دوراً مهماً في الصحة النفسية كمرض لدى المصريين القدماء .

وإذا نظرنا إلى الحضارة الإغريقية، نجدها تستعمل الفن الموسيقى أيضاً بوصفها مادة علاجية،إلا أن ذلك كان محدوداً على الاستماع للموسيقي فقط، وكان الرقص والحركة لدى الإغريق يؤديان دوراً وقائياً من الأمراض النفسية والعضوية أيضاً ، فقد حُظيت الفنون البصرية باعتراف وإعجاب الإغريق ومورست على نطاق واسع لما لتلك الفنون مثل الرسم والتجسيم، من دور مهم في إضفاء التوازن على الشخصية، وقد عاد ظهور تلك الفكرة مرة أخرى في فلسفة العصر الذهبي الأوروبي الذي تبنى فكرة العقل والجسد المكونة للشخصية،أما في القرن الثامن عشر فإن ظهور الفن ودوره السيكولوجي يعزى إلى تكشف رسوم المرضى النفسيين أو مايسمى أحياناً "فنون المجانين "،ويعود تاريخ فنون المرضى النفسيين في الحضارة الغربية إلى عام ١٧٣٥م عندما نشر الفنان ويليام هوغارث William Hogarth مجموعة من فنون الحفر(الجرافيك)تحت عنوان"تتالي الحطـــام The Rake's Progress"التي تصور نزيلاً نفسياً في مصحة بيت لحم يحدق بنظره في مجموعة من الرسومات الرمزية،يعتقد بأنه قد قام برسمها على حائط تلك المصحة،وقد أثارت تلك المجموعة من فنون الحفر فضول بعض الأطباء النفسيين آنذاك ليدرسوا خصائص الأمراض النفسية من خلال رسومات مرضاهم (MacGregory, 1989, p. 17)

وفي ألمانيا فقد توالت بحوث الأطباء ومراكز العلاج الطبيعي في مجال الفنون إذ بدأت بالأعمال البحثية للطبيب النفسي فريتز مور Fritz Mohr (١٨٧٤- ١٩٦٦م)، وقد نشرت أعماله البحثية بدءاً من عام ١٩٥٩م وتوصلت لأن تكون ضمن الوسائل التشخيصية الرائدة في استعمال الرسم والأشغال الفنية بوصفه مادة أساسية للتشخيص النفسي والجسدي، كما نشرت اعمال بحثية للعلاج الطبيعي بالفن كوسيلة للشفاء حتى أصبح ينتشر في مراكز العلاج الطبيعي هناك، أدت إلى بناء العديد من الوسائل التشخيصية حتى وقتنا الحاضر وفي مجتمعات مختلفة (Kruger, 1978P & Macgregory, 1989) .

أما بالنسبة للعلاج بالفن التشكيلي، الذي قد تخفي تفاصيله على كثير من الاختصاصيين، فقد كانت بداياته الحديثة مع الأب الروحي للعلاج النفسي فرويد Freud الذي هو نفسه تابع رصد الخصائص المرضية من خلال الفن عندما حلل إنتاج بعض الفنانين السابقين والمعاصرين له مما أدى إلى التركيز على القيمة التعبيرية والتنفيسية للفن التي لها أن تحرر اللاشعور من ما اختزنه من عقد نفسية، إلا أن فرويد لم يتعمق في دراسة جدوى العلاج بالفن التشكيلي بعكس ما قدمه العالم النفسي يونغ Jung المعاصر لفرويدحيث كان ولعاً بالفن وتبوء لديه مركزاً خاصاً؛ إذ كان نفسه رساماً بارعاً أنتج العديد من رسومات المندالا التي لعبت دوراً مهماً في حياته وجلبت له التوازن النفسي الذي كان يطمح إليه شخصياً وبالإضافة إلى أن يونغ كان ممارساً للفن فقد كان يشجع مرضاه على التعبير الفني للفائدة الإكلينيكية (Edwaeds, in Rubin, 1987, p. 92, and MacGregor, 1989,p. 20)

لقد كانت محاولات فرويد ويونغ الخجولة في مجال العلاج بالفن التشكيلي بمثابة الشرارة الأولى في مجال العلاج بالفن، إذ أن ما أنتجوه من نظريات في العلاج النفسي وسيكولوجية الشخصية كانت منبعاً لكثير من المجالات التي لها علاقة بعلم العلاج بالفن، وقد تبنى معظمها المعالجون بالفن التشكيليون من بعدهم، وفي ذلك الإطار نجد بأن مارغريت نومبيرغ Naumburg والتي تعتبر الرائدة الأولى في العلاج بالفن، قد تبنت تلك النظريات، بعد أن تعمقت في دراساتها، وخرجت بما أسمته مؤخراً العلاج بالفن "Art Therapy" . وقد اختلف في إطاره عن ما يسلكه النفسانيين في التعامل مع الفن التشكيلي، هنا ركزت نومبيرغ على الفائدة الإكلينيكية من وراء العمليات الفنية ؛ أي أصبح الفن لديها يحمل فوائد علاجية بالإضافة إلى الفوائد التشخيصية التي يعرفها النفسانيين، وبعين ثاقبة استطاعت نومبيرغ التربوية أن تخرج بأسلوب علاجي بالفن يسمح لمحتوى اللاشعور بالتمثل في الرموز الفنية التي يحتويها العمل الفني وقد سمت ذلك الأسلوب التعبير الفني الحر) Naumburg, 1987,p.1) Free Art Expression

في الأربعينيات من القرن العشرين وبينما كانت نومبيرغ تركز على العلميات النفسية في الفن بقصد الفوائد الإكلينيكية الكامنة في العمليات الفنية، ظهرت على ساحة الريادة في العلاج بالفن في الخمسينات من ذلك القرن في الولايات المتحدة الأمريكية معلمة للتربية الفنية تدعى إديث كريمر Edith Kramer التي رأت في الفن والعمليات الابتكارية الفنية دوراً مهماً في العلاج بالفن(ومن هنا بدأ العلاج بالفن ينهج منهجين تطبيقيين إحداهما يركز على العمليات النفسية والآخر يركز على الفن في حد ذاته وعملياته الابتكارية من أجل تكشف العمليات النفسية واستنتاج الفوائد الكلينيكية للعلاج الطبيعي من خلاله Wadeson, 1980, p.13

الجدير بالذكر أن كلا الرائدتين تحملان خلفية تربوية فنية مما جعل العلاج بالفن ذو علاقة قريبة من مجال الفن والتربية الفنية أكثر منه إلى مجال علم النفس، وبحكم أن الرائدتين كانتا تعملان في حقل التعليم فقد جذب ذلك المجال الجديد عدد كبير من المختصين في التربية الفنية أكثر من غيره من المجالات العلمية الأخرى ذات العلاقة، ومع ذلك فقد كانت ماغريت نومبيرغ تحاضرعن العلاج بالفن لفئات مختلفة منهم الأطباء والمعالجون النفسيون والممرضون والعاملون في مجال تأهيل الفئات الخاصة بالإضافة إلى المختصون في التربية الفنية وبينما ركزت كريمر، بحكم أنها كانت تعمل أستاذة للتربية الفنية بجامعة نيويورك، على معلمي ومعلمات التربية الفنية والفنون بشكل أكثر وضوحاً من الفئات الأخرى من الاختصاصين الذين تألف منهم العاملين في مجال العلاج بالفن التشكيلي مؤخراً(.) Wadeson, 1980

كان مجهود هاتان الرائدتان كبير في سبيل نشر العلاج بالفن التشكيلي ليس في الولايات المتحدة الأمريكية فقط بل في دول أخرى أوروبية ،مما أدى إلى نشر أفكارهما خارج نطاق إقامتهما الأساسية حيث ساعدت إمكانات الرائدتين اللغوية في نشر أفكارهما عن العلاج بالفن التشكيلي خارج نطاق الولايات

المتحدة وبالتحديد أوروبا، إذ كانتا تتحدثان لغات أخرى غير الإنجليزية، وساهم ذلك في تقوية أفكار الأوروبيون عن العلاج بالفن، حيث كان الأوروبيون جاهزون لتلقي مثل تلك الأفكار بحكم أنهم ممارسون للعمليات التشخيصية بالفن ولهم تجارب مماثلة في العلاج بالفن .

كما أسهمت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بشكل مباشر على تقبل الأفكار التي يطرحها العلاج بالفن بوصفه تعبيراً عن الانفعالات الداخلية ؛ حيث ظهرت خلال وبعد الحرب العالمية الثانية اتجاهات تقدمية أكثر تحرراً من القيود الفلسفية القديمة أسهمت في حد ذاتها بإعطاء الفرص للعائدين من الحرب العالمية الثانية من أفراد الجيش وعائلاتهم للانضمام إلى برامج ترويحية إضافة إلى البرامج الطبية العلاجية ، والتي كان من ضمنها عدة مجالات مثل العلاج بالموسيقي، والعلاج الوظيفي (العلاج بالعمل)، مما أدى إلى تأسيس برامج للعلاج بالفن في المستشفيات والمصحات الخاصة بالجيش .

كان بالإمكان لأفكار نومبيرغ أن تذهب مع الريح، إلا أن جهود الكثير من المختصين والمهتمين والمتعطشين المؤمنين بهذا الدور استمروا في إعلاء أصواتهم بجانب نومبيرغ لينشروا هذا الدور، هنا ظهرت إلينور ألمان Ulman على الساحة بتأسيسها أول دورية في العلاج بالفن عام ١٩٦١م The Bulletin of Art Therapyالتي غيّر أسمها في عام ١٩٦٩م إلى المجلة الأمريكية للعلاج بالفن The American Journal of Art Therapy، فقد قامت هذه المجلة منذ أول عدد أصدر منها بجمع شتات المهتمون والمختصون في العلاج بالفن؛ حيث كانت المصدر الوحيد آنذاك الذي يجمع الأفكار والطموحات ويناقش فيها المختصون شؤون مجالهم بالإضافة إلى عرض تجاربهم مع المرضى النفسيين وتلاميذ المدارس وقد احتوت تلك الدورية على مقالات تنظيرية، وتقارير ميدانية، وتعليمات تطبيقية، ودراسات تحليلية، وأخبار العلاج بالفن حول العالم .

في عام ١٩٦٩م، أيضاً ومن خلال تلك الدورية، لوحظ تزايد عدد الممارسين والمهتمين بالعلاج بالفن مما شجع على الدعوة لتأسيس جمعية عمومية للعلاج بالفن، وبالفعل تم ذلك في العام نفسه وقد قام بذلك المجهود مجموعة تقدر بخمسون عضواً اجتمعوا في مدينة لويزفل وأعلنوا تأسيس الجمعية الأمريكية للعلاج بالفن The American Art Therapy Association وكان أول مؤتمر للجمعية في شهر سبتمبر عام ١٩٧٠م في مدينة وورنتن فرجينيا التي تبعد ٤٥ ميلاً من مدينة واشنطن العاصمة الأمريكية . وحضر المؤتمر الأول مائة عضو وبلغت العضوية في ذلك العام إلى ١٤٢ مائة واثنين وأربعون عضواً، واستمرت الجمعية في النمو حتى بلغت في عام ٢٠٠٣م(٤٧٥٠) عضواً، والجدير بالذكر أن الجمعية تقيم مؤتمراً سنوياً في إحدى مدن الولايات المتحدة، ويقصدها العديد من المختصين والمهتمين من جميع أنحاء العالم لمعرفة الجديد في المجال والتعرف على أعضاء من مختلف أنحاء العالم، وتبادل الخبرات، ومن المهم أن نذكر بأن الجمعية قد أخذت على عاتقها الكثير من المسؤوليات لتطوير مجال العلاج بالفن ومن ضمن تلك المسؤوليات منح شهادات الممارسة واختبارات البورد والاعتراف بالبرامج التعليمية التي تقدم دراسات أكاديمية في العلاج بالفن في الولايات المتحدة الأمريكية .

وبتأسيس الجمعية الأمريكية للعلاج بالفن بدأ العمل الجماعي في تحديد المجال ودراسة جميع جوانبه وتهذيب نظرياته ومجالات العمل فيه،وقد اهتمت الجمعية بالجانب الأكاديمي والمهني ونظمت القوانين للإعداد الأكاديمي وآداب المهنة،وأصبح العلاج بالفن يدرس في عدد كبير من الجامعات والأكاديميات المرموقة في الولايات المتحدة الأمريكية ويزاول العلاج بالفن في العديد من المؤسسات الصحية والتعليمية والتأهيلية والدور الخاصة،أما نظريات العلاج بالفن فقد تطورت بشكل كبير حيث توصلت إلى الدمج بين نظريات العلاج النفسي الحديث والعمليات الابتكارية الفنية مما ساهم في كسبها الثقة بين الأوساط الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا والمانيا واليابان وغيرها من الدول المتقدمة،وقد تعددت الممارسات في هذا المجال ولم يعد العلاج بالفن يخدم الفئات الخاصة أو المرض النفسي المتعارف عليه بل توصل إلى التعامل مع المرضى المصابين بالسرطان ومرضى (الإيدز)ومرضى الكسور ومرضى الشلل ومرضى الأعصاب،ومجموعات مرضية أخرى . (Weishaar, 1999, Richardson, 2001, Wood, 2002, and, Oppenheim, et al, 2000)

أما إذا نظرنا إلى العلاج بالفن التشكيلي في الأوساط العربية بشكله المعاصر فإننا نجده لا يزال في بداياته الأولى على الرغم من معرفة البعض به منذ الإرهاصات الأولى للعلاج بالفن في الولايات المتحدة وبريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن لم تتضح له معالم واضحة إلا عندما بدأ الدكتور لويس كامل مليكة بالبحث في مجال التشخيص بالرسم في خمسينيات القرن العشرين الذي تبلور إلى كتابه المشهور " دراسة الشخصية عن طريق الرسم " والذي طبع لأول مرة في عام ١٩٦٠م واستمر حتى الطبعة السابعة عام ١٩٩٤م، وفي مصر أيضاً تلاحظ الباحثة أن دراسة العلاج بالفن قد حظيت باهتمام كبير من قبل الدارسين والباحثين في بداية السبعينيات من القرن العشرين في مصر، حيث خرجت مجموعة من رسائل الماجستير تبحث في ذلك المجال بالإضافة إلى كتاب(التربية الفنية والتحليل النفسي) للدكتور محمود البسيوني، والجدير بالذكر أنه كان مستوعباً للعلاج بالفن التشكيلي ودور الفن في الصحة النفسية .

أما في المملكة العربية السعودية فلا نجد الا القليل من الناشطين في هذا المجال منهم الدكتور عوض اليامي، وقد أسس أول عيادة للعلاج النفسي بالفن التشكيلي بالرياض لكنه مازال هذا العلم العلاجي غير منتشر بالمراكز العلاجية بالمملكة العربية السعودية الا بشكل محدود .

هذه هي الخطوط العريضة لتاريخ العلاج بالفن ،ويتضح لنا بأن خط سير الفن في مساعدة الإنسان قد بدأ منذ التعبيرات الأولى للإنسان على جدران الكهوف ماراً بالحضارات القديمة البدائية منها والإغريقية وعصر النهضة الأوروبي حتى القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أن القرن العشرين جاء بالتنوير العلمي الحديث وظهرت الفلسفات التي اتخذ منها رواد مجال العلاج بالفن أسلوباً ومنهاجاً لتكوين المسارات المنهجية العلمية والتي بدورها خلقت مجال العلاج بالفن الذي يهدف إلى أن يكون الفن وعاءاً للتنفيس عن المشاعر وكشف الغامض منها وتوظيف الفن التشكيلي في خدمة الإنسان لتصفو نفسه ويكون له علاجاً جسديا وايضاً من الأمراض الجسدية وللعديد من الامراض العضوية فلم يعد الفن التشكيلي لوحة تُرسم، أو مجسماً يُنحت، إنما تعدى ذلك ليكون واحداً من الأساليب العلاجية المعترف بها على المستوى المحلي والعالمي.

بادرت المملكة أنشاء وحدات ومراكز للعلاج الطبيعي للرعاية الصحية والتاهيل الشامل للمسنين ولحالات الكسور، والاعاقات البدنية، ومرضى الجهاز العصبي، ومرضى الجهاز العضلي الهيكلي ... الخ ، إلا أنها مازالت تفتقر للعلاج من خلال الفن بصفة عامة والأشغال الفنية بشكل خاص ، فهي مازالت تحتاج الى طرح إستراتيجية تأهيليه علاجيه بالفن التشكيلي من خلال

الأشغال الفنية ، حتى يصبح الفن التشكيلي له دور فعال في مراكز العلاج الطبيعي مقارنة بمراكز العلاج بالمانيا والدول المتقدمة .

في ضوء ما سبق يمكن تلخيص مشكلة البحث في التساؤل التالي :كيف يمكن الأستفادة من خبرات الدول المتقدمة(المانيا) في مجال العلاج الطبيعي الأكلينيكي بالأشغال الفنية في وضع إستراتيجية للتأهيل والعلاج عن طريق الأشغال الفنية .

يهدف البحث الى دراسة التقدم العلمي والأستفادة من خبرات الدول المتقدمة وبالتحديد المانيا في مجال العلاج بالأشغال الفنية ومدى امكانية الأستفادة من وضع خطه علاجية لتشخيص المهارات والقدرات الفنية لدى عينة من الطالبات لديهم اعاقات يدوية، وذلك لتنميتهم عضلياً واجتماعياً ونفسياً بممارسة الأشغال الفنية، وذلك بهدف تطبيق هذة الاستراتيجية من خلال المستشفيات أو مراكز العلاج الطبيعي .

وتأتى أهمية البحث من سعيه الى تعريف المجتمع بالبرامج التاهيلية للعلاج بالاشغال الفنية، وكذلك ألقاء الضوء على الفوائد الإكلينكة من خلال العلاج الطبيعي بالأشغال الفنية والتي تنمي قدرات المرضى من الناحية العضلية والحسية والعصبية والجسدية كالمرضى المصابين بالشلل اوالكسور أوالجلطات الدماغية أوأمراض الدم والأورام السرطانية والحسية والانفعالية والاجتماعية.

ويقوم البحث على افتراض أساسي هو أمكانية وضع استراتيجية تأهيلة للعلاج الطبيعي الإكلينكي من خلال الأشغال الفنية ودورة في تنمية الناحية العضلية والجسدية والحسية والانفعالية والاجتماعية فهناك مجالات تشكيلية عديدة قد يكون لها فوائدها الإكلينيكية مثل أشغال الجلود وأشغال الزجاج وأشغال الخشب، والموزايك والخامات البيئية. والمستهلكة الخ . .

تستخدم الدراسة المنهج الوصفى التحليلى لحالات فردية وأعتمادها على الأشغال الفنية كمادة مفتوحة بخاماتها لتطبيق هذا البرنامج وأستراتيجيته. وتكونت عينة البحث من ست من الطالبات قسم الرسم والفنون، كلية التصاميم والفنون جامعة الملك عبدالعزيز.

مصطلحات البحث Terminology

" **العلاج بالفن** : هو الاستعمال العلاجي للإنتاج الفني، من قبل أفراد يعانون من المرض، أو صدمة، أو مصاعب في الحياة، ومن قبل أفراد يسعون للنمو الجسدي والشخصي، فمن خلال ابتكار الفن والتمعن في إنتاجه وعملياته يستطيع الأفراد أن يرفعوا من درجة إدراكهم لأنفسهم والآخرين، والتأقلم مع أعراضهم المرضية، والضغوط التي تنتابهم، والصدمات التي يمرون بها، فيحسنون من قدراتهم الجسدية والعضلية والمعرفية، ويعمل المعالجون بالفن مع الأفراد من كل الأعمار أفراداً ،وجماعات، وأزواج، وعائلات، والجماهير العامة،يقدمون خدماتهم بشكل انفرادي أوضمن فريق علاجي في مواضع مختلفة في الصحة النفسية، والتأهيل، والطب، والمؤسسات الجنائية،وبرامج التأهيل الاجتماعي الشامل، والمراكز الصحية،والمدارس، ودور المسنين والعجزة، والشركات، والاستوديوهات الفنية (العيادات الخاصة)". (AATA, 2003, p.4)

علم الطب الإكلينيكي هو ذلك العلم الذي يدمج بين العلوم الطبية والنظريات والمعرفة الإكلينيكية بهدف فهم طبيعة القلق والضغوط والاضطرابات أو الأمراض النفسية والخلل الوظيفي الناتج عنهاجسدياً .

الفن التشكيلي: هو التعبير الفني (غير اللفظي) بالرسم أو أعمال الخزف و الفخار أو الأشغال الفنية ...الخ، وهو كل شيء يؤخذ من الواقع،ويصاغ بصياغة جديدة أي يشكل تشكيلاً جديداً وهذا ما نطلق عليه كلمة (التشكيل).

والتشكيلي:

هو الفنان الباحث الذي يقوم بصياغة الأشكال أخذاً مفرداته من محيطه ولكل إنسان رؤياه ونهجه، لذا تعددت المعالجات بهذه المواضيع، مما اضطر الباحثون في مجالات العطاء الفني أن يضعوا هذه النتاجات تحت إطار (المدارس الفنية).

وأذا نظرنا إلى الفن التشكيلي من زاويتنا على أنه عمل سيكولوجي يأخذ زاويتي علم العلاج الطبيعي العام وعلم الطب الاكلينيكي فهو نتاج مخاض النفس والعقل والبدن، فالتفاعل بين العقل والبدن ينتج فنا تشكيليا كما هو الحال أيضا في معظم الفنون، فهو أيضا ناتج خبرة الفرد الاجتماعية التي تكوّن لديه المفاهيم التي يريد التعبير عنها في فنه فتخرج محملة بما يحتويه الشعور واللاشعور، والفنان في إبداعه لفنه يشبه العالم في بحثه عن العلاقات بين الأشياء ليستنتج علاقات جديدة بينها لتسهل الحياة للناس وتشع نورا على مواضيع لم يتم تكشفها بعد.

مجالات الفن التشكيلي:

يمارس الفنان التشكيلي في مجال الأشغال الفنية فنه من خلال وسائط فنية تسمى الخامات الفنية على سبيل المثال(أشغال الورق وأشغال الجلود وأشغال المستهلكات، والاشغال الخشبية ...الخ) وصنف الفنانون هذه الخامات إلى مجالات فنية توسعت الاستعمالات الفنية فيها بشكل كبير حتى أصبحت مجالات تشكيلية كل يتبع قوانين وأساليب مختلفة، وسوف نلقي الضوء على بعضها حتى نتمكن من ربط مجال الأشغال الفنية بالعمليات العلاجية .

أشغال الورق:

أن أشغال الورق لها فوائد عديدة اكلينيكية في عمليات العلاج الطبيعي فممارسة المعالجين مع المرضى لأشغال الورق يكسب المريض بعض المهارات المعرفية والانفعالية والحركية خاصة فهي تنمي وتقوى الأعصاب والعضلات المصابه في حالات التأهيل بالأشغال الفنية عن طريق ممارسة تقنيات مختلفة للورق (كالقص واللصق وعجينة الورق والكولاج والتشكيل بالكرتون،والنسيج الورقي، والتشكيل الحر وغيرها الكثير)، ومن الممكن للمعالج بالفن اختيار النشاطات الفنية المناسبة للمشكلة التي يعاني منها مريضه.

تلعب أشغال الورق في العلاج بالأشغال الفنية أدوارا عديدة علاجية وتأهيلية: يستطيع المعالج من خلالها ابتداع أساليب متعددة وعلى مستويات مختلفة تساهم في توضيح الصورة لدى المعالج ليتكشف المشكلات لدى مريضه ووضع خطة لأساليب علاجها على سبيل المثال، قد يستفيد المعالج من عمليات القص واللصق لنوعيات محددة من الورق وأساليب عدة من ادوات وأساليب القص والقطع واللصق لتطوير وتنمية قدرات المريض الذي يعاني من مشكلات في عضلات اليدين من حيث القوة والاتزان والحركة والتنسيق البصري اليدوي. أما أعمال العجائن الورقية التي يتعلم المريض من خلالها قوة الضغط العضلي عند تشكيلة بها والتركيز والمتابعة وحساب التوقعات وقياس الوقت والتخطيط والانتظار والمفاجأة والاستمتاع بلحظات النتائج المفاجئة والتعلم من تراكم الخبرات الشيئ الذي يستطيع أن يوظفه في حياته اليومية، وغير ذلك الكثير.

أشغال الجلد:

تعتبر أشغال الجلود من المجالات التي يمكن أن نستفيد منه في العمليات العلاجية والتأهيلية بالأشغال الفنية، حيث تتوافر فيه

فرص عديدة للإبتكار وتنمية الناحية العلاجية الجسدية العضلية والعظمية والعصبية بشكل واضح،وبسبب تقنيات العمل العديدة على الجلود (كالطرق والنسج، والتضفير والحرق، والضغط، والزخرفة، والتفريغ، ....الخ) يجد المريض نفسه أمام عمليات معرفية كثيرة متنامية على سبيل المثال عمل التخطيطات الأولية ثم عمل النموذج الورقي ثم عمليات الاختيار لخامات الجلد المناسبة حيث تعددت أنواعها وألوانها، ثم عملية التنفيذ النهائية والعمل على الجلد ومايتخلله من عمليات اتباع الخطط المرسومة مسبقا ثم نقل الزخارف وتلوين الجلد وتخريمه وربط أجزائه وخياطتها والاستمرار في العملية التشكيلية حتى إتمامها بنجاح وعرضها.

فالعلاج بالأشغال الفينة من خلال خامة الجلد علاج تأهيلي فمن خلال أشغال الجلود يستطيع المعالج توظيف تلك التقنيات في اكساب عميله تمارين للاطراف الجسدية المصابة ، والتدرب والمتابعة للوصول إلى الهدف المرسوم مسبقا، فدراسة المشكلة من نواحي متعددة وابتكار أفضل الحلول للوصول إلى نتائج أكثر نجاحا، ثم الشعور بالنجاح في الإنتاجية والفاعلية، ومن ناحية أخرى فالعمل في فنون الجلود ينمي القدرات الحركية والعضلية الجسدية وينمي القدرة على التركيز العصبي والعضلي والتآزر الحركي البصري ويساعد على الهدوء، ويحول التفكير إلى التركيز على الناحية العملية (تشتيت Diversion)، ويساعد على حل مشكلة خلل معرفة الاتجاهات ومن الممكن العمل في مجاميع مما يساهم في خلق الجو الجماعي واكتساب مهارات أخرى متعددة منها مهارات التواصل والدعم النفسي، ومن الممكن الاستفادة من أشغال الجلود في تقوية القبضة بطريقة غير مباشرة على سبيل المثال، عندما يقوم المريض باستعمال أدوات الثقب اليدوية والربط والحياكة والحرق على الجلود، ويستعمل العلاج الوظيفي أشغال الجلود وتجليد الكتب لما في ذلك من فوائد إضافية مثل شغل وقت فراغ المريض لفترات مناسبة.

وتأتي الاستفادة الاكلينيكية من أشغال الجلود بشكل غير مباشر، حيث يمكننا أن نستفيد منها في علاج أو تأهيل المرضى ضمن الخطط العلاجية أو التأهيلية المصممة لعلاج مشكلة جسدية معينة، فمن خبرات المعالجين بالأشغال الفنية تم أكتشاف بعض الفوائد التي من الممكن ذكرها كبناء للنمو العضلي والحركي ، وتنمية الروح الإنتاجية، وبناء المهارات الاجتماعية، وهي مجال يجد المرضى فيه طريق للتركيز وتصفية الإنفعالات، كما أن بعض الطرق تساهم وتساعد على الحركة والتعامل مع الفراغ المحيط وتعلم التوزيع والتنظيم وترتيب مساحة العمل، كما أن بعض الدراسات تؤكد الدور التأهيلي البدني للأشغال الفنية بشكل عام من حيث تحسين مجال المدى الحركي في الذراعين والناحية الحركية بشكل عام، وتساعد على تشجيع الدمج البدني وتحريك العديد من أجزاء الجسم في عمليات التشكيلات الفنية المختلفة، وهي تنمي النواحي الاجتماعية كما تنمي النواحي البدنية، فمن خلال التفاعل بين أفراد يكوّنون عملا فنيا تحدث العلاقات الاجتماعية ويتم التحدث وخلق التفاعلات الانفعالية والتعاطف وتبادل المعلومات والخبرات.

ومن النواحي الانفعالية تخدم أشغال الجلود المرضى في التنفيس عن مشاعرهم وتشتيت التفكير السلبي والتركيز على النواحي الانتاجية الإيجابية وبحكم أن عمليات التشكيل تتطلب التكرار فمزاولتها بشكل مستمر يساهم وبشكل كبير على أن يتخطى المريض مرحلة الصدمات وتقليل الحساسية تجاهها وتجاه المواضيع التي عادة ما تحتاج إلى وقت لكي يتم الإقلال من حساسيتها.

أما من الناحية البدنية فالجلد له صفة التعامل مع العضلات الدقيقة والإبصار والتآزر الحركي البصري، و تسهم وبشكل مباشر في الوصول إلى تلك الفوائد الاكلينيكية وبشكل مرغوب يحبذه الكثير على التمارين الرياضية المؤلمة وخصوصا لدى المصابين بشلل الأطراف العليا.

العجائن أو الصلصال ..

فالعجائن أو الصلصال مادة أثبتت أنها تنمي الناحية الحسية والجسدية العضلية لما لها من خصائص حسية قلما تجدها متوفرة في خامة أخرى، حيث استعملها المعالجون بالفن التشكيلي في تحسين وتقوية عضلات اليدين والذراعين وتحسين الناحية الحسية والاستعاضات البصرية وغيرها مع عينات منها المرضى المصابين بالجلطات الدماغية والكسور والشلل ..الخ

أشغال المستهلكات ..

أشغال المستهلكات بحر واسع من الخامات التي تمكن المعالج أختيار الخامة الانسب للمريض وخطة علاجة المتوقعة ،فهي كذلك لها فوائد كثيرة على الجهاز العضلي والحسي والعظمي ..الخ وعند تواجد الباحثه بدولة ألمانيا (شتوتقارتStuttgart ،فرايبورغ **freiburg**) تم زيارة العديد من المراكز العلاجية المتخصصة للعلاج الطبيعي منها ZAR Stuttgart Zentrum für ambulante Rehabilitation Wilhelmsplatz 11، تم الأطلاع على وحدات بداخل هذه المراكز للعلاج بالفن توضع ضمن خطة علاجية يومية مجدولة بعدد من الساعات للمريض تشمل (ممارسة تمارين على الأجهزة الطبية والعلاج الطبيعي اليدوي وممارسات للفن من خلال الأشغال الفنية)

وفيما يلى مجموعة من النماذج المصورة لبعض المنتجات التى يعمل عليها المرضى بها متل الرسم علي الحرير وصناعه السلال والرسم علي الفخار والنحت علي الاحجار

شكل (١)

المصدر www.qou.edu/arabic/researchprogram

شكل (٢) المصدر

http//www.prlog.org.watercolor-art

شكل (٣) المصدر
http://www. history.alberta.com

شكل (٤) المصدر ZAR Stuttgart Zentrum für ambulant

شكل (٥)
ZAR Stuttgart Zentrum für ambulant

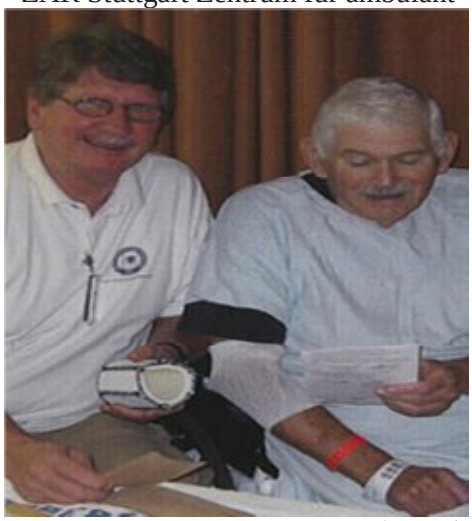

شكل (٦) المصدر ZAR Stuttgart Zentrum für ambulant

شكل (٧) المصدر http//mypacificstory.com

الفوائد الإكلينيكية للعلاج بالأشغال الفنية :

يتعامل المعالج والمريض في العلاج بالأشغال الفنية بطرق ووسائل وخامات متعددة ، فهي الأساس في العملية العلاجية بالأشغال الفنية التشكيلية ،ومن خلالها يتم تكشف نقاط القوة والضعف لحالة المريض وحتى حالات الجسم المنعكسة من الداخل كما أظهرته مؤخراً التقارير الميدانية مع مرضى الأمراض الجسدية (Weishaar,1999, p.173Borgmann,

.(Heywood, 2003, p. 125 2002, p. 245

ومن خلال تجربة ميدانية مع مجموعة من الطالبات بقسم الرسم والفنون وجدت الدراسة تطورا ملحوظاً في حالات الطالبات وتنمي قدراتهم الجسدية والعضلية والحسية الى جانب اكتسابهم الشعور بالثقة بالنفس واندماجهم بصورة متقدمة مع من حولهم من الأسوياء بالمجتمع وعدم إحساسهم بالأنعزالية، حيث كان يمثل العمل الفني سجلاً دائماً لتطور العملية العلاجية منذ بدايتها حتى أن يكتب لها النهاية، وبغض النظر عن نجاحها أو فشلها

فهي في حد ذاتها خطوة نحو النجاح يستفيد منها المعالج والمريض في كثير من مراحل العملية العلاجية .

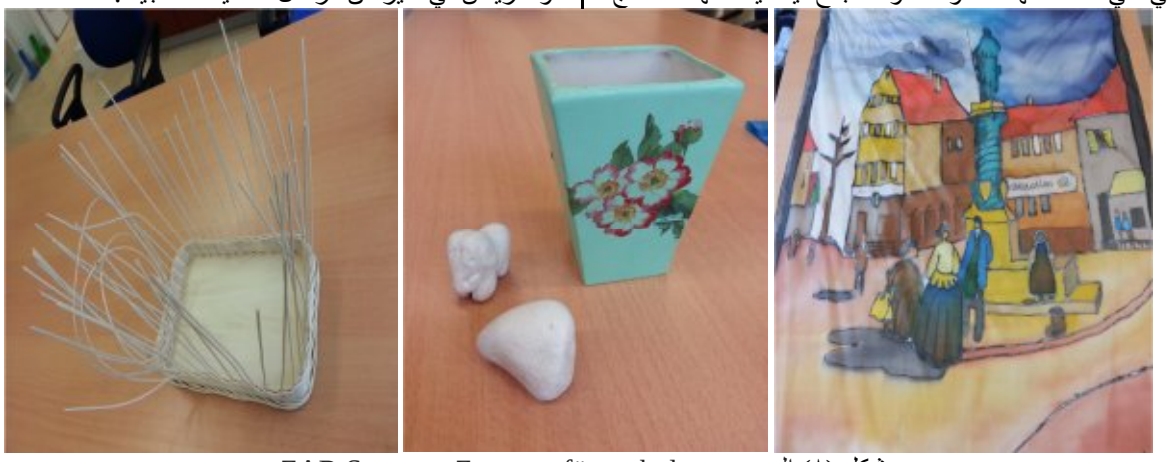

شكل (٨) المصدر ZAR Stuttgart Zentrum für ambulant

النتائج Results

خلصت الباحثه إلى وضع الخطوط الأولية لاستراتيجية تأهيلية علاجية من خلال الأشغال الفنية لطالبات يعانين من مشاكل صحية جسدية وأعاقات يدوية، وتوصلت الى إكسابهم مهارات من الناحية العضلية والجسدية والحسية والنفسية حيث نمى هذا البرنامج مهارات الطالبات بنواحي عديدة، ومن خلال هذا توصلت لعدد من النتائج نلخصها فيما يلي :

يكوّن العمل الفني سجلاً تذكارياً لكل جلسة علاجية من خلال العمل الإبداعي ،يمكن المريض والمعالج من الرجوع المتكرر للخبرات واللحظات الهامة والاستفادة منها في تحسين العملية العلاجية واختبار تطورها في ظل الخطة العلاجية القادمة .

- تأتي الأعمال الفنية المنتجة بمثابة الجسور الواصلة بين الجلسات العلاجية، والتي تخدم في تواصل العملية العلاجية بشكل واضح .
- تمكن مراجعة الأعمال الفنية المنتجة خلال العملية العلاجية من تكشف بعض النقاط الهامة التي لم يكن بالإمكان إدراكها في الجلسات التي أنتجت بها ومن ثم التعامل معها وتوظيفها في العملية العلاجية.
- تمكن الأعمال الفنية المعالج من الاستمرار في البحث في الأعماله الفنية للمريض واستنتاج نقاط قد تكون ذات أهمية في سير العملية العلاجية.
- تمكن المراجعة الدائمة للأعمال الفنية من النظرة الشاملة للحالة المرضية وتطورها مما قد يساعد المعالج في معرفة درجة التطور في العملية العلاجية وما يجب اتخاذه من إجراءات في الخطة العلاجية.
- مقارنة بدايات ألاعمال الفنية المنتجه مع نهاياته لتعطي المعالج صورة واضحة في مدى تطور العملية العلاجية وفائدتها الإكلينيكية بشكل قد لا يشوبه اشتباه أو تردد .
- ملاحظة المريض لتطوره في العملية العلاجية من خلال إنتاجه الفني يعزز من دافعيته ويرفع من معنوياته واستمراريته للوصول إلى ما يصبو إليه.

نماذج من أعمال الطالبات

أشغال ورق

أشغال الجلد

أشغال الجلد

شكل (٩) نماذج من أعمال الطلاب

التوصيات Recommendations:

وقد أوصت الباحثة بعدد من التوصيات من أهمها :

١- أنشاء مراكز تأهيلية مختصة كاقسام بداخل المستشفيات كما هو موجود في الدول الأوربية (ألمانيا) لتأهيل علاج الحالات المرضية الجسدية والعضلية والعظمية عن طريق الأشغال الفنية للإستفادة منها .

٢- يجب التخطيط للعلاج بالفن التشكيلي من خلال الأشغال الفنية لعلاج الحالات المرضية الجسدية والأعلاقات المختلفة .

٣- إقامة المؤتمرات العلميَّة والندوات والابحاث العلمية والثقافية وغيرها المتعلّقة بالمؤسَّسات التعليميَّة والطبية، مثل: جامعة الملك عبدالعزيز، ووزارة المعارف، أو التي تتعلَّقبالإدارات الأُخرى، مثل: الغرفة التجارية الصناعيَّة

بجدة وغيرها؛ إذ تتوافر في مدينة جدَّة الإمكانات المميزة والملائمة لإقامة وتنظيم المؤتمرات الدوليَّة، وحضور العدد الملحوظ منَ المشاركين فيها.

٤- تطبيق الاستراتيجية المقترحة في هذا البحث من قبل المتخصصين في مجال الأشغال الفنية مع حالات مرضية جسدية وتنميتها صحياً .

شكل (١٠) نماذج من أعمال الطلاب (توليف خامات)

الخلاصة Conclusion

لقد أظهر هذا البحث الأهميَّة المتميِّزة للاشغال الفنية ودورها في مجال العلاج الطبيعي الأكلينيكي، فهو مجال للخدمة الإنسانية يقدم فرصاً استكشافية للمشكلات المرضية الجسدية والعضوية فهو ينمي الخبرات الجسمية والانفعالية والتعليمية من خلال ممارسة النشاطات الفنية العلاجية، الى جانب انه مجال جديد غير مأخوذ به في المملكة العربية السعودية كعلم يستفاد منه .

إن استعمال العلاج بالأشغال الفنية يعني أن العملية الابتكارية من الممكن أن تكون وسيلة لإصلاح الصراعات الانفعالية والجسدية، ويساعد على علاج العديد من الحالات المرضية والاعاقات الجسدية وتساعد على النمو الإدراكي والحسي، كما إن فوائد الخبرات العلاجية بالفن صالحة للفئات ذات الاحتياجات الخاصة ومن الممكن للعلاج بالفن أن يكون أساسياً منفرداً، أو مساندًا، أو مشتركاً في مراكز العلاج الطبيعي والعلاج النفسي، والعيادات الطبية، والمراكز الاجتماعية، والسجون، والوحدات التنموية، والمراكز الصحية، والمستشفيات العامة، والعيادات والمؤسسات التعليمية والإصلاحيات الأخرى.

تطرقنا في هذا البحث إلى العلاج الطبيعي الاكلينيكي من خلال الأشغال الفنية والتي حاولنا طرحها من زاويا عديدة، وتوضيح العلاقة وصلة كل مجال العناصر الاكلينيكية التي من الممكن أن يحتويها كل من المجالات المطروحة، آملين أن تكون بداية توجه بحثي للمعالجين بالفن التشكيلي في وطننا العربي حيث نحن بحاجة ماسة في هذه المرحلة من الأستفادة من الأطروحات العلمية الجديدة علينا بالمملكة العربية السعودية.

المراجع References

1- Frances E. Anderson (1994) Art-Centered Education and Therapy for Children with Disabilities, Thomas Publisher, Limited, Charles C.

٢- محمد الأصمعي محروس سليم (٢٠١٠) بعنوان " مصادر التربية الجمالية ومجالاتها وأساليبها.

٣- عبد الله موسى (٢٠٠٧) بعنوان " القيمة والتجربة الجمالية نحو بعث ثقافة جمالية

٤- رسالة ماجستير من جامعة أورسيل بالولايات المتحدة الأمريكية (استعمال العلاج الجمعي بالفن في تحسين مهارات التواصل الاجتماعي مع مجموعة من الأطفال المصابين بالتوحد ومتلازمة داون).

٥- مصدق الحبيب (٢٠٠٦) بعنوان " حول جدلية المعيار الجمالي في الفن والأدب من منظور فلسفي

6- http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/ww

7- ZAR Stuttgart Zentrum für ambulante Rehabilitation Wilhelmsplatz

8- H. C. Wadeson, (1980) Art Psychotherapy, John Wiley & sons.

9- H. C. Wadeson, (1989) Advances in Art Therapy John Wiley & sons

10- Wadeson, H. (2001). An eclectic approach to art therapy. In J. Rubin (2nd ed.), Approaches to art therapy: Theory and technique (306-317). New York, NY: Routledge

11- Sheena McGregory 1989Art Therapy John Wiley & sons

12- Kruger, 1978P and

13- Blanche Daw Douglas, 1999, Understanding The Image In Art Therapy, A Phenomenological-Hermeneutic Investigation, A Doctor of Philosophy thesis, Rhodes University Grahamstown.